معهد الدراسات الدبلوماسية

السياسة الخارجية السوفيتية

١٩٥٣ - ١٩٥٦

السيد أمين شلبى

١٩٦٨

-

تقديـــــم

أصبح تاريخ السياسة الخارجية السوفييتية يعرف بمراحل تتفق كل منها ذات معالم واضحة ومميزه ، فهناك المرحلة الستالينيه ومرحلة ما بعد ستالين ومرحلة خروشوف وما بعد خروشوف وهكذا .

والفترة التى نتعرض لها بالدراسة – رغم قصر مداها – تعتبر بين مراحل تطور السياسة الخارجية السوفييتية أكثرها حرجا وأكثرها حفلا ببذور التطور من أوضاع ومفاهيم وعلاقات قد يمسة أن أخرى أكثر تطورا . فهى تبدأ بعام ١٩٥٣ وهو العام الذى غاب فيه ستالين عن المسرح الذى ظل يحتله لمدة ثلاثين عاما وطبع كل عناصره برؤياه الخاصة ، وتنتهى بعام ١٩٥٦ الذى انعقد فيه المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى والذى أرسيت فيه مبادىء ظلت تطبع السياسة الخارجية السوفييتية فى مراحلها التاليه ، فقد تبلور خلاله مبدأ التعايش السلمى وعدم حتميه الحرب بكل ما حمله من مفاهيم الحرب والسلام والعلاقات مع المعسكر الرأسمالى ، كما برز مبدأ تعدد الطرق الى الاشتراكية والذى أوحى بنظره وتقييم جديد لحركات التحرر والوطنى والنظم الجديدة فى البلدان التى تحررت من الاستعمار وكذا فى العلاقات مع بلدان المعسكر الاشتراكى ، فضلا عن أنه قد أدين فيه مبدأ عباده الشخصية بما حمله من انعكاسات على طبيعة وشكل القيادة السوفييتيه فى المستقبل .

وبعد ، فان هذه الصفحات لا تدعى انفسها ان تكون أكثر من مؤشر للتطورات الهائلة العميقة التى حفلت بها هذه الفترة ، ولكن ما نستطيع أن ندعيه هو انها قد التزمت بمنهج التكامل فى النظر الى هذه التطورات من حيث العلاقة المتبادلة والوثيقة بين قيادات وشخصيات الاتحاد السوفييتى وبين عناصر الموقف الداخلى ومكوناته وبين طابع العلاقات الدولية واتجاهها فى فترة ما .

1 - Russia under Khrushchev

A vrahaw Brumberg.

2 - Russia after Khrushchev

Ropert Conquest.

3 - Soviét foreign Policy after Stalin;

David Dallin.

4 - Strategy and tactics of Soviet foreign policy.

Mackintach

5 - Soviet Russia in world politics;

Warth.

6 - The Kremlin since stalin.

7 - A journy in Khrushchev era.

8 - The Great contest Russia and the west;

Issac Deutcher.

9 - Eastern Europe in the post - war world;

Hupert Ripka.

F

السياسة السوفييتية الخارجية

من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

تقديم :

كانت السنوات الاخيرة فى حياة ستالين هى قمة انتصاراته السياسية وتتويجا لسياسته وهى ان كانت قد شهدت انتصار الافكار الماركسية واللينينية وتعاليمها الا انها كانت اكثر ارتباطا باسم ستالين وشخصيته ، فاذا كان ماركس هو الذى وضع وصاغ النظرية وكان لينين هو الذى وجه وقاد اول ثورة تحول هذه النظرية الى نظام يحكم امة كبرى ، فان الاتحاد السوفييتى بنظامه لم يسبق له ان حقق مثل هذا المستوى من النفوذ والمكانة فى الشئون الدولية والامتداد فى اراضيه وتحالفاته وقواه الحربية ، فالاتحاد السوفييتى رغم عناصره وانتماءاته الغربية كان فى كثير من جوانب حياته يقف بالنسبة للغرب المتقدم موقف مستعمراته ومناطق نفوذه ، اما بعد الثورة البولشفية وتطوراتها التى بلغت مداها بعد الحرب العالمية الثانية وخلال كلمة ستالين فقد اصبحت تقف فى مكان الصدارة من القوى العالمية • وعقيدة الثورة التى ظلت محاصرة ومهددة أصبحت تتحدث باسم ثلث البشرية وبلغت هذه الدرجة من الثقة بالنفس والتأكد من النصر •

ونستطيع ان نجمل افكار ستالين التى تبلورت فى فترة ما بعد الحرب والتى تحكم تسييره للسياسة الخارجية ونظرته الى الاوضاع والعلاقات الدولية فيما يلى :ـ

١ ـ ان الازمة العالمية للرأسمالية وعمليات الانتقال الاشتراكية فى حالة استمرار

فالثورة العالمية التى بدأت فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩١٧ قد حققـــت تقدما ملموسا منذ الحرب الثانية ، وان النظام الرأسمالى الاقتصادى اخـــذ فى التفكك ، وازدهار الصناعى فى هذا العالم ليس الا واجهة وامر موقـــوت فى الوقت الذى تزداد فيه البطالة والفقر بين الجماهير وترتفع الاسعار والضرائـب وتتناقص الاجور وهذا النقص فى الاستهلاك الفردى يعنى انكماشا فى الســـوق الرأسمالية ويعنى مزيدا من الازمات بينما يزدهر السوق الاشتراكى ويتخفـــف من قيوده التى فرضتها فى نظر ستالين فى هذه الفترة ينقسم الى مجموعتين هـــى مجموعة الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية ، فليس هناك شقه حرام ولا موقـــف وسطا بينهما فمن ليس منا فهو علينا وفكرة الحياد ليست الا ادعاء وخدعة ومـــا الديموقراطيون الاجتماعيون الا جزء من التحالف المضاد للسوفييت ويجـــب ان يحارب

وبالنسبة للولايات المتحدة الامريكية فهى بحكم امكانياتها ومصادرها وبحكـــم عدم تأثير الحرب المباشر عليها هى اقل حلقات الرأسمالية تأثرا بالازمـة .

وباحتمالات الثورة العالمية ولذلك فهى تتطلع الى السيطرة على العالم واخضاع حلفائها وهى بهذا الشكل العدو الرئيسى للاتحاد السوفييتى ، ومن ناحيـــة اخرى ، فان بلدان اوروبا الغربية تتخلى تدريجيا عن استقلالها وتتبع خطــــة الولايات المتحدة .

٪

٢ ـ انه حيثما واينما كان من الممكن توسيع مملكة الاشتراكية بدون نزاع مباشـــــر من القوى العظمى ـ فان هذه الامكانية يجب ان تستغل فى اقصى الحـــدود وفى سبيل ذلك تتخطى جميع العقبات الدبلوماسية والعوائق العقائديـــة والدعائيـــة •

٣ ـ ان الاتحاد السوفييتى بعد ان تحمل اولا عبء بناء قاعدة الثورة العالميـــة واحتمل اخطار وتضحيات ومواجهات التحالفات الرأسمالية التى حاصرت ثورته ثـــم اعباء مواجهة النازية ودحرها • فان الوقت قد آن لان تتحمل الدول الاشتراكيـــة الجديدة شىء من العبء فى المرحلة الجديـــدة •

٤ ـ ان الاتحاد السوفييتى يجب ان يمتنع عن الانخراط فى اى نزاع مسلح مع الغــــرب وذلك لاسباب متعددة أبرزها دور امريكا القيادى فى مجال الاسلحة الذريـــة والذى كان مقررا ان يستمر لعدة سنوات • ثم الشعور العدائى للحرب فى الاتحـــاد السوفييتى بعد المعاناة المريرة التى عاناها مع تجربة الحرب الثانية • امـــــا السبب الرئيسى فقد كان تجنب شلل النظام السوفييتى فى الاتحاد السوفييتــــى حيث ان اية هزيمة كانت تعنى نهاية النظام •

فى هذا الشأن ظهرت عدة مواقف لم يكن واضحا منها كيف سيكــــــون رد فعل الغرب تجاه حركة من جانب الاتحاد السوفييتى وحلفائه • وكانـــــت

سياسة ستالين هى أخذ المبادرة بالخطر والتقدم حتى الحافة ثم التقهقر واذا ما اصبحت الحرب بادية وفى هذه السياسة وكما سبق ان اوضحنا ، كان ستالين يود ان يقنع النفس بانه لم يضيع فرصة واحدة لتقدم الشيوعية وقد كانت ازمة اليونان ، ثم ثورة برلين من النماذج الدالة على هذه السياسة ، ثم حرب كوريا بشكل اكثر دلالة ، فقد كانت هذه الحرب نموذجا لتكتيكات ستالين حيث اعتقد ان امريكا سوف تمتنع عن ارسال قوات الى بلد يعتبرها العسكريين باعتبارها قليلة الاهمية الاستراتيجية وقد قوى من هذا الشعور انسحاب القوات الامريكية من جنوب كوريا عام ١٩٤٩ حيث قد بدى ممكنا تحويل كوريا كلها الى ديموقراطية شعبية بدون حرب .

٥ - من الافكار الرئيسية التى كانت توجه سياسة ستالين ان الحرب حتمية ما دامت هناك رأسمالية ، وهذه من الافكار الرئيسية فى الفلسفة السياسية للينين .

وقد تعرض المفهوم الشيوعى للحرب باعتبارها حتمية التى تبدلات منذ ان استولى لينين على السلطة فى الاتحاد السوفييتى ، وقد بدء هذا التعديل بانكار لينين فى اول الامر لامكانية التعايش السلمى مع الرأسمالية وقوى من هذا الاعتقاد حروب التدخل والنضال المسلح الذى ظل جاريا من ١٩١٨ - ١٩١٩ والذى دل على ان الحرب الحاسمة وشيكة الوقوع او هى قد بدأت فعلا لان الامبريالية

%

العالمية بكل رأسمالها القوى وعسكريتها الضخمة وتكنولوجيتها المرتفعة لاتستطيع تحت اى ظروف او أى شروط ان تعيش جنبا الى جنب مع روسيا السوفييتية ٠

غير انه حين انتهى التدخل الاجنبى المسلح فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٢٠ – ١٩٢١ ، ونال النظام الاعتراف الدبلوماسى ٠ وصل لينين الى تخلى عن مسألة حتمية الحرب مع الرأسمالية وبدأت تتكشف له امكانية التعايش معها وبدأ يعترف بذلك وان كان شرطه بأنه لفترة محدودة ٠ " فهل يمكن ان تعيش جمهورية اشتراكية وسط حصار رأسمالى ، ان هذا كان يبدو غير ممكن فى المعنى السياسى ولا العسكرى ، اما الان فقد ثبت انه من الممكن فى كل من المعنيين ٠ "

الا انه فى الوقت الذى بدأت فيه الحرب بين الاتحاد السوفييتى والدول الرأسمالية غير حتمية ، وعلى الاقل ليست وشيكة الوقوع ، فان المفهوم القديم فى ان الدول الرأسمالية سوف تصطدم بعضها ببعض ما زال قائما ٠

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، قدم ستالين مفهوما جديدا للتعايش السلمى ، فالتعايش السلمى ممكن التطبيق فقط على العلاقات السوفييتية الرأسمالية ، فليس هناك سبب قاهر لصراع مسلح بينهما ، فالاتحاد السوفييتى من جانبه لن يهاجم منافسيه الرأسماليين ٠ والقوى الرأسمالية من جانبها ستظل تحتفظ بالدرس الذى اعطاه الاتحاد السوفييتى للنازية من ٤١ – ١٩٤٥

%

وستمتنع عن مهاجمة الاتحاد السوفييتي الا انه في ذات الوقت فانه في اطـــــار المنافسات بين الدول الرأسمالية بعضها بالبعض فان النزاع من اجل الاسواق والمواقع الاستثمارية سوف يبرز المنازعات التي ستتطور حتما الى حروب .

وقد كانت خطة وسياسة الاتحاد السوفييتي تجاه الحرب كما وضعت منذ عام ١٩٢٠ تتركز في ان الدول الرأسمالية بحكم العلاقات المتناقضة الناشئة بينها وتنازعها على الاسواق ومناطق الاستثمار سوف تحارب بعضها البعض في الوقت الذي يقف فيه الاتحاد السوفييتي على الحياد وحين تقترب الحرب من نهايتها وتصبح نتيجة الحرب اكيدة يتدخل الاتحاد السوفييتي ليجني الثمار .

واذا كانت هذه السياسة قد وضعت عام ١٩٢٠ الا انه لم يعلن عنها الا عام ١٩٤٧ فقد قيل " انه اذا ما نشبت الحرب فلن نستطيع ان نقف متوفي الايدي بل علينا ان نحدد موقفنا ولكن سنكون آخر من يفعل هذا ، وسوف نفعله من اجل ان نلقي الثقل الحاسم في الميزان وهو الثقل الذي يستطيع ان يغلب كفتيه . "

وقد حاول ستالين ان يطبق هذه السياسة على المانيا النازية حين وقع حلفه معها عام ١٩٣٩ وقد وقع هذا الحلف وفي نيته ان يدخل الحرب في مرحلتها

٪

الاخيرة بالانضمام الى الحلفاء اذ انانوا منتصرين والتقدم الى المانيا ، او بالتحالف مع المانيا والتقدم الى جنوب شرق آسيا لاحتلال الفراغ البريطانى السابق .

وقد ثبتت خطأ حسابات ستالين وتقديراته حين غزى هتلر الاتحاد السوفييتى عام ١٩٤١ وأثبتت انه من غير الممكن للاتحاد السوفييتى ان يلعب دور توازن القوى بين المجموعات المتنازعة فالنموذج الذى قدمته بريطانيا فى القرن ١٩ فى توازن القوى قد اعتمد فيه على قوتها البحرية وثرواتها وعزلتها المترفعة ، وهذا الامر الذى لا يستطيع ان تطبقه قوة قارية آسيوية اوروبية كالاتحاد السوفييتى ولا يتفق مع مجراها السياسى .

مثل هذه الاخطاء وغيرها الناتجة عن مذهب ستالين فى حتمية الحروب وارتباط ذلك بالتقييم الاكثر واقعية لنتائج الحرب فى عصرنا ، قد دفع خلفائه لتعديلات اكثر جذرية وان كان هذا التعديل لم يبدو الا بعد عدة سنوات من وفاة ستالين والذى بلغ مداه فى المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ حين قرر ان عدم حتمية الحرب اصبحت ممكنة ثم بلغ الذروة فى المؤتمر الواحد والعشرين حين قرر أن حتمية الحرب أصبحت مستحيلة .

وقبل هذا الوقت فقد كان السائد والمقبول فى الاتحاد السوفييتى والبلدان المتحالفة معه ان " سلسلة الحروب الكبيرة هى التى تكون الازمات النهائية للرأسمالية "

%

لم تنتهى بعد ، وان النزاعات المسلحة يمكن أن تستغل حالا بين القوى الغربية والكتلة السوفيتية وان على الاتحاد السوفيتى أن يسلح نفسه لأقصى درجة حتى يتمكن من أن يدخل النزاع حين يصل الى مرحلة متقدمة وان يكسبها . "

بدايات عام ١٩٥٣ :

وقد تميزت بدايات عام ١٩٥٣ بزيادة فى التوتر سواء فى الشئون الداخلية وفى العلاقات الدولية للاتحاد ، فداخليا شهدت اجهزة الدولة اكبر حركة تطهير لعناصر لها مكانتها فى التاريخ السوفيتى كما ظهرت مؤامرة الاطباء وتعرض الكثيرين للادانات اما فى السياسة الخارجية فقد استمر الاسلوب القديم فى التحدى ، فقد رفض ستالين اى نوع من المساومة فيما يتعلق بكوريا ، وتصاعدت الحرب السياسية ضد تيتو والتى تحولت الى محاكمات واعدام لعناصر كثيرة فى كل الديموقراطيات الشعبية ، ووزع فيشنسكى وزير الخارجية مذكرات على الدول الاوربية الصغيرة احتجاجا على ارتباطهم بالناتو وشهرا الى احتمال ظهور قوات اجنبية على اراضيهم ، وهدد الماريشال سوكولفسكى علنا انجلترا وفرنسا على سماحهم لقواعد أجنبية فى بلادهم ، كما قطعت العلاقات الدبلوماسية مع عدة بلدان وفى الامم المتحدة كان فيشنسكى يعكس من فوق منبرها روح ستالين فى التهجم والتشدد فى السياسة الدولية ، اما مفهوم التعايش السلمى الذى كان قد شرع فى اذاعته فعلا فقد اقتصر حتى لم يعد يتضمن الا معنى ضيقا حيث لم يعد يعنى الا تجنب حرب ساخنة مع الولايات المتحدة ، اما الحرب الباردة فهى ليست مناقضة لمفهوم التعايش السلمى .

%

وفاة ستالين ، عهد مالينكوف :

فى وسط هذا الجو المتوتر داخليا ودوليا حدثت وفاة ستالين وغاب " المعلم الحكيم والقائد الشجاع " وعين جورج مالينكوف وكان تنصيبه تأكيدا بأن " سياسة ستالين سوف تستمر " فمالينكوف كان هو اختيار ستالين وهو مساعده الوفى حتى آخر ايامه وهو من يحتفظ بكل اسرار النظام فهو بهذا الشكل الخليفه المنطقى لستالين ، واستمر مالوتوف منصبه وزيرا للخارجية باعتباره الوحيد بين أعضاء البريزيديوم العليم والخبير بالسياسة السوفيتية الخارجية ، وقد ظل خاملا منذ اقصائه عام ١٩٤٩ وان كان ستالين يوفده فى بعض المهام حين يريد ان يحكم تشدده وعبوسه .

وفى البيان الاول عن السياسة الخارجية الذى اذاعه رئيس الحكومة الجديدة فى ١٥ مارس ١٩٥٣ وذكر " انه فى الوقت الحاضر ليس هناك مشاكل متنازع عليها لايمكن تسويتها بشكل سلمى وبالاتفاقات المتبادلة بين البلدان المعنية .. ان هذا ينطبق على علاقتنا بما فيها الولايات المتحدة الامريكية " .

ورغم غموض البيان فان الكثيرين فى أوروبا وخارجها قد شعروا من خلال كلمات مالينكوف المختصرة اشارات الى تنازلات ولمسوا فيها بداية شىء جديد وان لم يكن مؤكدا .

وقد جاءت تسوية الازمة الكورية على أن اساس الوضع الراهن فى يوليو عام ١٩٥١

%

وآمال السلام المتحسنة في شرق آسيا جعلت الغرب يقيم السياسة السوفيتية تقييمـــا جديدا ، ورغم ان الأسس الذى بنى عليها هذا التقييم لم تكن اكثر من شائعات واشـــارات وحقائق صغيرة فان النظرة الرائجة كانت تذهب الى ان طريق مالينكوف ومولوتوف الجديـــد سيكون اكثر تقبلا للمساومـــة .

وقد أدت العديد من التطورات الى هذا التقييم الجديد . ففي فبراير ١٩٥٤ المسب انطوني ايدن مساعدة السفير السوفيتي في لندن في الافراج على بعض الرعايا البريطانيـــن المعتقلين في كوريا الشمالية ، وفي ١٨ مارس جاء رد مولوتوف بالوعد " بالنظر بعين الاعتبار " كما سمح بالعودة لمدنيين من بلدان أوروبا الغربية كانت سلطات كوريا الشمالية قـــد اعتقلتهـــم .

كما حدثت عدة حوادث لطيارين بريطانيين في المانيا اذ اعتبروا وانهم اخترقـــوا المنطقة السوفيتية ، ومع هذا تقدم القائد السوفيتي بعد ذلك باعتذارات واقترح مؤتمرا سوفيتيـــا بريطانيا لتفادى مثل هذه الحوادث في المستقبل وقبل تشرشل العرض .

وعند النظر في تعيين سكرتير عام جديد للامم المتحدة بدت هذه المفاوضـــات وكأنها متعثرة ثم وافق الاتحاد السوفيتي فجأة على اختيار همرشولـــد .

كما سمح لمجموعة من المحررين الامريكيين في موسكو بالتصوير ، ولاول مرة منـــذ الحرب العالمية الثانية يشهد بعض الروس وزوجاتهم حفل استقبال في السفارة الامريكيـــة

%

فى موسكو كما سحب المطلب السوفييتى الذى قدم قبل موت ستالين ان تغلق السفارة الامريكية مساكنها المجهزة بالمرظين ، كما شملت حركة المرور من والى برلين .

هذه جميعا كانت مجرد تنازلات ضئيلة وخاصة فى المنظار الحالى - ولم تكن تعنى اتجاها وبرنامجا جديدا شاملا - وقد كان مولوتوف هو آخر من يمكن ان يوافق لو ينع معنى هذا البرنامج الجديد . ومع هذا فان مثل هذه التبدلات الصغيرة كانت لازمة لخلق جو من التعايش والاسترخاء . وقد سمح مولوتوف لنفسه أن يحدث مثل هذه التنازلات الصغيرة واى ان لم يتنازل عن اتجاهاته التقليدية المعادية للغرب . واحتفظ مولوتوف بالصمت حول اتجاهاته واهدافه البعيدة المدى وترك تفسيرها للحكومات الاجنبية وما لبث ان بدت خلافات فى الغرب حول تفسير هذه الاتجاهات . فقد كانت وجهات النظر البريطانية المتفائلة معارضة لنظرات الشك والريبة فى واشنطن التى قررت ان تختبر موسكو فى محاولة لتفهم حقيقة هذه الاتجاهات وان تختبر مواقفها الحقيقية تجاه المسائل المعلقة مثل الحرب الكورية والمسألة النمساوية والالمانية وشرق اوروبا ونزع السلاح لذلك تساءل ايزنهاور فى ١٦ ابريل ١٩٥٣ " هل القيادة الجديدة فى الاتحاد السوفييتى مستعدة لان تحد من نفوذها الحاسم فى العالم الشيوعى . وفى التحكم فى تدفق الاسلحة لا مجرد هدنة دائمة فى كوريا ولكن سلام حقيقى فى آسيا . وهل هى مستعدة لان تسمح لغيرها من الامم بما فيها شرق اوروبا بالاختيار الحر لاشكال حكوماتها . وهل هى مستعدة لان تتعرف مع الغير حول الاقتراحات الجادة لنزع السلاح ؟

وقد استجابت الحكومة السوفييتية فى النهاية لهذه الحيرة الدولية فأفادت برنامجا اكثر وضوحا من السياسة الخارجية السوفييتية حيث خرجت افتتاحية برافدا فى ٢٥ ابريل أى بعد وفاة ستالين بعدة اسابيع — وكان واضحا من البين انه تدخرج نتيجة لعدد اولات عديدة بين القادة السوفييت ووجه الى الجنرال ايزنهاور " اننا لاننوى ان ندخل فى جدل مع الجنرال ايزنهاور حول بيانه الغريب حول .. " انهاء حقبة من السياسة السوفييتية " ولكننا لانستطيع ان نتقبل بدون دهشة استنتاجه بان السياسة السوفييتية يجب ان تتخلى عن التعاقب او التوالى فى السياسة الخارجية . ان الجنرال ايزنهاور فى البيت الابيض انما يواصل سياسة سلفه فلماذا لايحدثنا عن حقبة جديدة فى امريكا "

وحول المسألة الكورية قالت الجريدة الرسمية ان موسكو تستطيع ان تساعد فى انهاء النزاع ، وحول المسألة النمساوية كان بيانها اكثر مدعاة للتفاؤل ، " فيما يتعلق بالمعاهدة النمساوية فانه يمكن ان نكرر هنا ايضا أن ليس ثمة مشاكل لايمكن تسويتها على اساس من التفاهم .. "

حول هاتين المسألتين فقط ، كوريا ، والنمسا ، كان من الممكن ان يستدل على اشارات حول التنازل ، اما فيما يتعلق بالمسائل الاخرى فقد ظل الاتجاه متشددا حول مسائل مثل المانيا والصين ونزع السلاح وحلف شمال الاطلنطى كما رفض مجرد المناقشة فى شئون اوروبا الشرقية .

وقد احدثت السياسة السوفييتية الجديدة خلافا لم يمكن اخفاؤه فى تقييم اسسها واحتمالاتها بين قطبى المعسكر الغربى وهما بريطانيا والولايات المتحدة ،فقد عبرت الحكومة البريطانية عن تفاؤلها وتصورها الجديد بدعوتها الى مؤتمر قمة بدون شروط مسبقة ،وكانت استجابة واشنطن لهذه الدعوة حذرة ومتحفظة ،وقد قدم تشرشل اقتراحه بعقد مؤتمر قمة فى ٢٩ ابريل ،وفى ١١ مايو القى امام مجلس العموم تقريرا متفائلا عن السياسة السوفييتية الجديدة والذى اشار فيه الى " التطور الصحى فى الاتحاد السوفييتى " وعن التغيير فى الاتجاه الروسى " والى انه من الخطأ الاعتقاد بان لا شىء يمكن تسويته مع الحكومة السوفييتية ،فالمقترحات الجديدة حول كوريا كانت جادة وواعدة ، كما ان التقدم الشيوعى فى لاوس لم يكن بالهام وسكو .

غير ان الولايات المتحدة عبرت عن تصميمها على موقفها واكد جون فوستر دالس الشروط المسبقة الواجب توافرها قبل انعقاد مؤتمر للازمة الكبار حيث قال :

" اننا اشك فى ان نتائج هامة يمكن ان تأتى من مؤتمر قمة يضم قادة الاتحاد السوفييتى الا ان الاتحاد السوفييتى ينهى حربا عدوانية فى كوريا والهند الصينية ولا وربما يرفض فى اوروبا اعادة الاستقلال للنمسا . "

غير ان الهدنة الكورية فى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٣ على اساس الوضع الراهن كانت من الرموز الدالة على ان ثمة شيئا جديدا فى السياسة السوفييتية وقد كانت مسألة الحروب

الكبيرة والمحلية من الدوافع التي حدثت فيها تقلبات في الفكر السياسي السوفييتي بعد ستالين مثل هذه حروب كوريا والهند الصينية التي اثارها او على الاقل أيدها ستالين فقد وجد ان مثل هذه الحروب محملة بمخاطر كبيرة ، وقد ذكرنا ان الاتحاد السوفييتي قد اندفع الى تأييد الحرب الكورية بمظنة أن الولايات المتحدة لن تعتبر هذه من المناطق الهامة بالنسبة لها وانه بذلك يمكن تحويل كوريا باسرها الى ديموقراطية شعبية ، الا أن الاشتراك المباشر للولايات المتحدة قد بدل من التصور السوفييتي من هذه الحرب ومثيلاتها وبدل من موقفها منها وقراراته ازاءها واصبح من شبه المعتقدات انه اذا شاء الاتحاد السوفييتي ان يتفادى حربا كبيرة فانه من المحتم عليه ان يتفادى الحروب الصغيرة والعمليات المحدودة التي يزج فيها بشكل مباشر ، ومن هنا نستطيع ان نقول ان ثمة مرحلة جديدة طرأت على الاستراتيجية السوفييتية شعارها الحذر فيما يتعلق بالنشاط العسكري المحض والجرأة والتصميم فيما يتعلق بالوسائل الاقتصادية والسياسية .

وقد عبر مالينكوف عن هذه السياسة في بيانه الاول والشامل عن السياسة الخارجية السوفييتية بعد ستالين حيث قرر انه ليس ثمة مشاكل لا يمكن حلها بدون مفاوضات وانه بعد ان شهد العالم فترة طويلة من التوتر فان معالم الاسترخاء قد تبدت في العلاقات الدولية ورغم هذا فان اتجاه مالينكوف قد ظل ثابتا في جوهره في هذا البيان وكانت أولى المسائل التي ثبتت فيها السياسة السوفييتية ولم يمسها التغيير هي المسألة الالمانية ، فقد ظلت تؤكد ان تسليح

المانيا هواخذ لو الأمور على اوروبا وخاصة على جيرانها فى الشرق والغرب ،كما دعت فرنسا ان تتخذ سياسة مستقلة فى الشئون الدولية ، وهاجم الناتو وتنبأ بتفككه ،كما دعى اليابان ان تحصل على استقلال لها من الولايات المتحدة ،وركز على الوحدة بين الدول الاشتراكية وطالب بضم الصين الى الامم المتحدة ،وفى هذا البيان اعلن مالينكوف لأول مرة أن الولايات المتحدة ليست المالكة الوحيدة للقنبلة الهيدروجينية .

وفى الاحتفال بثورة اكتوبر تميزت الشعارات التى رفعت فى هذه الاحتفالات عن قبيلا تها قبل وفاة ستالين ،فقد رفع هذا العلم الشعار الجديد " انه ليس ثمة مشاكل لا يمكن حلها بدون مفاوضات " كما نادت هذه الشعارات بـ " تقليل التوتر الدولى " ونادت شعارات أخرى " بالصداقة مع شعوب بريطانيا وفرنسا " كما اختفت عبارات " العدوانيين والامبرياليين " محبى الحرب " .

مؤتمر برلين :

رأينا كيف أن تشرشل منذ نما بصدوره المتفائل تجاه السياسة السوفيتية الجديدة قد دعى الى عقد مؤتمر للاربعة الكبار وان واشنطون كانت متحفظة فى الدعوة للعقد مثل هذا المؤتمر وقد اشترطت لعقده وضع شروط مسبقة يقبلها الاتحاد السوفييتى والذى رفض بدوره مثل هذه الشروط .

%

وقد تطورت الاتصالات فى هذا الشأن حتى عقد مؤتمر لوزراء الخارجية فى ٢٠ يناير عام ١٩٥٤ وقد كان مولوتوف هو نجم هذا المؤتمر بلا نزاع وهو لم يكن يؤكد دور الاتحاد السوفيتى القيادى فحسب بل ودوره ذاته فى السياسة الخارجية السوفيتية.

ولكى يثبت مولوتوف تفهمه للحاجات العالمية الملحة فقد رفض جدول الاعمال الذى اعده الغرب واقترح ان يكون البند الاول للمناقشة والذى كان على زملائه ان يتقبلوه هو مجرد "اجراءات تخفيف حدة التوتر الدولى."

وقد بدى واضحا خلال الاربعة ايام التى قضاها المؤتمر ان الصراع كان واضحا ومتركزا بين قطبى المؤتمر وهما دالاس ومولوتوف.

وحين انتقل المؤتمر الى مناقشة المشكلة الالمانية اقترح مولوتوف ان يدعو المؤتمر ممثلى كل من المانيا الديموقراطية والمانيا الفدرالية وكان هذا الاجراء يعنى ضمنا الاعتراف بالمانيا الديموقراطية ولهذا رفضه الغرب وقد قدم ايدن فى النهاية خطة الغرب اتجاه المانيا التى تدعو الى انتخابات حرة لتوحيد المانيا وان تقدم الحكومة الالمانية فى المستقبل من خلال برلمان يقوم نتيجة انتخابات تقررها الامة الالمانية ولعلم مولوتوف بان نتيجة الانتخابات معروفة مسبقا كان برنامجه الذى قدمه قد جعل منها الخطوة الاخيرة فى عملية التوحيد وان يسبقها تكوين حكومة مشتركة من النظاميين وان لاتجرى هذه الانتخابات الا اذا نجح النظامان فى ايجاد لغة مشتركة والخروج بنظام انتخاب يتقبله الطرفان.

%

كما تضمنت خطة مولوتوف ان يكون هدف حكومة الائتلاف هو توقيع معاهدة سلام مع اعداء المانيا النازية كما تضمن انسحاب القوات المحتلة من المانيا خلال عام ويمكن لهذه القوات ان تعود الى الجزء الذى كانت تحتله اذا ما هدد هذا الجزء . وكان هذا يعنى انه اذا ما هدد الجزء الشرقى من المانيا كما حدث عام ١٩٥٣ فان القوات السوفيتية ان تعود الى هذا الجزء كما تضمنت مقترحات مولوتوف ان لا تدخل المانيا الموحدة فى تحالف عسكرى موجه الى أى من الشعوب التى دخلت الحرب مع المانيا .

كان هذا المؤتمر والموقف الذى اتخذه مولوتوف فيه دليلا على ان الاتحاد السوفيتى فى مرحلة الحكم الجديدة فيه غير مستعد للتنازل عن الجوهريات فى سياساته وخاصة فى المسائل الرئيسية ، وقد تبدى هذا بوضوح حين دعى مولوتوف الى نبذ منظمة الدفاع الاوربى وتصفية منظمة حلف شمال الاطلنطى وقواعد الولايات المتحدة .

وحتى بالنسبة المسألة النمساوية التى كان يبدو انها من المسائل التى يظهر الاتحاد السوفيتى تساهلا فيها ، فان مولوتوف فى هذا المؤتمر قد بدى نفس المستوى من التشدد فقد ذهب الى ربط المسألة النمساوية بعقد معاهدة سلام مع المانيا فلا تنسحب القوات الاجنبية من النمسا الا بعد توقيع المعاهدة الالمانية وهذا يعنى سنوات طويلة من الاحتلال للنمسا وقد كان من اهداف مولوتوف تحييد النمسا وعدم ولائها لاى من الكتل الكبرى ، وقد قبل وزير خارجية النمسا الذى دعى الى حضور المؤتمر مبدأ حياد النمسا ولكنه لم يقبل استمرار الاحتلال الى حين توقيع معاهدة مع المانيا ولم تسفر المفاوضات فى هذا الخصوص عن شئ .

/.

وقد بحث وزراء الخارجية فى هذا المؤتمر مشاكل الشرق الاقصى وعلى الاخص مسألتى كوريا والهند الصينية ، ووافق المؤتمر على عقد مؤتمر خاص فى جنيف حول مشكلات الشرق الاقصى فى ابريل عام ١٩٥٤ وان تدعى الى حضوره الصين دون ان يعد هذا اعترافا دبلوماسيا •

وفى ١٨ فبراير انتهى مؤتمر برلين وجاء فى البيان الذى اذيع عنه " ان وزراء الخارجية الاربعة قد تبادلوا وجهات النظر ا كاملة حول المسألة الالمانية وحول مشكلات الامن الاوروبى والمسألة النمساوية ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى أى اتفاق "

ولم يمض شهر على عقد المؤتمر والاتجاهات المتعددة التى تهددت فيه حتى وجه مولوتوف مذكرة الى القوى الغربية فى ٢١ مارس عام ١٩٥٤ يقترح قبول الحكومة السوفييتية عضوية الناتو كما يمكن للولايات المتحدة الاشتراك فى معاهدة موسكو المقترحة عن الامن الاوروبى وقد اعتبر الغرب هذا الاقتراح محاولة لتخريب الناتو ، كما اعتذرت عن مؤتمر الأمن الاوروبى المقترح •

وقد ذهب الاتحاد السوفييتى وحده الى عقد المؤتمر وحضره ممثلو دول اوروبا الشرقية وحدهم وحضره مراقب من الصين وان لم يحضره أيا من ممثلى الاحزاب الشيوعية الاخرى وقد كان مفهوما من خلال هذا المؤتمر ان الاتجاه قد اصبح واضحا لدى السوفييت الى تكوين تحالف عسكرى على غرار حلف الناتو •

٪

اعتزال مالينكوف — القيادة الجديدة بولجانين — خروتشـــوف :

ارتبط هذا الاتجاه المتشدد فى مسائل السياسة الخارجية بتغيير فى القيادة السوفييتية فقد اعتزل مالينكوف فى فبراير عام ١٩٥٥ ، وعلينا ان ننظر الى هذا التغيير بمنظار الاعتبـــارات الداخلية او المحلية اكثر منه بمنظار الامور الدولية ، وان نعتبر مالينكوف — رغم تربيته وتكوينـــه الستالينى هو اول رجل دولة فى التاريخ السوفييتي القى نظرة اهتمام على امور واحتياجـــات الرجل العادى فى الاتحاد السوفييتي فكان من ابرز همومه ومهامه هو توفير السلع الاستهلاكيـة اليوميه للفرد الروسي ومحاولة ادخال عناصر الاسترخاء على الحياة الصعبة التي عاناهـــا المجتمع الروسى فى الحقب الماضية . وقد كان على هذا الاتجاه ان يصطدم بعناصر وقـــوى ترى انه لا مساس بالبناء الداخلى وقاعدة الاستراتيجية التى تقتضى تركيزا على الصناعـــات الاساسية ، ولا الظروف وغيوم الجو الدولى الذى يتطلب مزيدا من الاستعداد العسكـــرى يسمحان بمثل هذه الاتجاهات التى يدعو اليها الينكوف ولما كانت العناصر التى اصطـــدم بها مالينكوف كانت اكثر تمثيلا لطبيعة النظام فقد استقال مالينكوف من كتاب استقالتـــه امرين لام نفسه عليهما ، عدم الخبرة فى توجيه الاقتصاد ، ومسئولياته الماضية عن الموقـــف الراهن فى الريـــف .

%

وقد اعقب مالينكوف فى الحكم بولجانين رئيسا للوزراء وزوكوف وزيرا للدفاع والذى اصبح بوزلك الجيش السوفيتى المسلك السياسية ، وتقلد خروتشوف أعلى منصب فى الحزب وهو منصب السكرتير الاول .

ولم تكن استقالة مالينكوف - بهذا المعنى - تعنى عودة الى السياسة الستالينية بل ان فريق الحكم الجديد ، وبعد ان القى خروشوف بثقله فى شئون السياسة الخارجية مثل وجها جديدا للدبلوماسية السوفيتية ربما لم تعرفة منذ عهد بيتر الاعظم من حيث انفتاحها على العالم عن صفة العبوس والتجهم والانحصار على نفسها وهو ما تميزت به الدبلوماسية السوفيتية حتى عهد ستالين .

تبدى هذا الوجه الجديد للدبلوماسية السوفيتية فى الرحلات الخارجية المتعددة التى قام بها بولجانين وخروشوف ثم فى تعدد الزيارات الى الاتحاد السوفيتى .

فبالاضافة الى زيارتهما الى الصين والارتباطات الاقتصادية التى نتجت عنها تعددت الزيارات الى المانيا الشرقية وسويسرا والهند وبورما وافغانستان ، وهذه الزيارات الاخيرة للدول الاسيوية كانت نقاط بارزة فى السياسة الخارجية السوفيتية اذ انها كانت بدء الانفتاح على علاقات جديدة ومفهوم جديد مع اتجاه دول العالم الثالث والدول غير المنحازة ميزتها المساعدات الاقتصادية السوفيتية التى بدأت تتدفق على هذه الدول والتى بدلت شكل جذرى من المفهوم السوفيتى القديم للنظام البرجوازية موضعها من الحركة

العالمية فى المنظار السوفييتى ، وقد كان خروتشوف يزور هذه الدول وكأن لسان حال يعبر على انه جاء يمثل نظاما ارتفع من التخلف الى مركز القوة الدولية بفضل جهوده الذاتية وبالاضافة ان هذه الزيارات الاسيوية زار خروشوف انجلترا والولايات المتحدة الامريكية وزار الاتحاد السوفييتى كل من نهرو وأونو وتيتو واديناور وسوكارنو وشاه ايران وجى موليه رئيس وزراء فرنسا .

غير انه ان كانت هذه الزيارات لم تحقق نجاحا ملحوظا فى اتجاه اتفاق دولى محدد وملموس الا انها كانت فى النهاية الوسيلة لخلق مناخ ملائم ومهيء لتطورات ابعد كما كانت تعبر عن وجه باسم للدبلوماسية السوفييتية والذى قدم علاقات عامة طيبة ودليل جديد على ان الاتجاه المتطرف فى العداء تجاه العالم الخارجى قد بدأ يتلاشى

فما هو رد الفعل الذى احدثه هذا الوجه الجديد للدبلوماسية السوفييتية لدى الغرب ؟ الواقع ان الرد المباشر كان استعدادا ضئيلا من جانب الغرب ان يقلل من حذره وشكه وقد تلازم هذا مع ارتفاع تحذيرات فى الولايات المتحدة الامريكية بعدم الاستسلام لغواية الاتحاد السوفييتى بل انه يمكن القول انه قد انتج العكس حيث تدعم التحالف الغربى فى هذه الفترة بانضمام المانيا الغربية الى الناتو فى ٦ مايو عام ١٩٥٥ وذلك بعد توقيع اتفاقيات باريس التى أعطت السيادة الكاملة لالمانيا الغربية وقد جاء الرد الحاسم من جانب الكتلة الشرقية فى انشاء حلف وارسو فى ١٥ مايو ١٩٥٥ . •

غير انه رغم التبلور الجديد لنظام التحالفات العسكرية المضادة فانه على عكس ما يبدو

٪

ويعتبر بداية مرحلة جديدة من التوتر في اوروبا ذلك انه ان قد تم صياغة وتحديد الكتلتين كما وان زيادة توسيع وتدعيم الناتو او قيام حلف وارسو لم يغير من ميزان القوة العسكرية في شيء بل انما هو أكثر تناقضا انه وسط تدعيم وتوسيع احدى التكتلات وانشاء تكتل آخر تشق الدبلوماسية طريقها : —

أ — نحو حل احدى المشكلات التي نتجت عن الحرب الثانية وهي المشكلة النمساوية

ب — وما هو اشمل من هذا ان مؤتمر القمة الذي دعى اليه تشرشل عام ١٩٥٣ أصبح الان ممكنـا .

<u>ففي المسألة النمساوية : —</u>

رأينا كيف ان مولوتوف قد اتخذ فيها موقفا متشددا في مؤتمر برلين — فبراير ١٩٥٤ ، حيث ربط هذه المسألة بتوقيعه معاهدة مع المانيا ، الا اننا نجده في فبراير عام ١٩٥٥ يلمح ان موسكو لم تعد متمسكة بهذا الربط وانه يمكن لموسكو ان تتخلى عن أن يسبق معاهدة النمسا معاهدة المانية ، ودعى المستشار النمساوي الى موسكو للتفاوض ، وفي ١٥ ابريل صدر بيان كشف عن ان الروس على استعداد لان يتقبلوا أقل مما كان النمساويين والقوى الغربية تتوقع . وبمقتضى المعاهدة الجديدة حيدت النمسا وسحبت قوات الاحتلال وانهى عن مسئوليتها في الحرب وقبل الاتحاد السوفييتي ان تقدم الـ ١٥٠ مليون دولار الذي كان يطالب بها كتعويضات نقدا ان تدفع في شكل بضائع ووقعت المعاهدة في ١٥ مايو ١٩٥٥ .

٪

وقد شجع هذا المناخ على انجاح تحقيق فكرة عقد مؤتمر قمة ، ففى نهاية مايو وقبلت الحكومة السوفييتية رسميا دعوة غربية للقاء رؤساء الدول ، واندفع السوفييت الى شن حملة صداقة.

وقد انعقد المؤتمر فى جنيف من ١٨ – ٢٣ يوليو عام ١٩٥٥ ، ومثل الاتحاد السوفييتى فيه خروشوف وبولجانين وزوكوف . وحين انقضت ايام المؤتمر الستة اظهرت مناقشاتها ان هذه الحرب الباردة قد اختفت بشكل ملحوظ .

وقد اجمع المراقبون على نقطة واحدة وهى ان القادة السوفييت قد عملوا كل ما فى وسعهم لكى يحتفظوا بروح الود والبشاشة من اول المؤتمر وانهم خلال الاتصالات الرسمية وغير الرسمية كانوا يبدون روح الصداقة ، وحين كانوا يلتقون مع الوفود الغربية فى وجهات النظر فانهم كانوا يفعلون ذلك بشكل ودى فى الوقت الذى كان سلوكهم فى مثل هذه المواضع يتسم بالاساءة والرد المهين .

والسؤال الذى كان يثار دائما ، ما الذى حققه مؤتمر جنيف ؟ وضع ما عرف باسم "روح جنيف" وخلق مناخا معتدلا معقولا يمكن ان تتطور من خلاله العلاقات الحكومية والدبلوماسية والغير رسمية بين الشرق والغرب وبين الاتحاد السوفييتى والبلدان الغير منحازة فى العالم . فالانجاز الرئيسى الذى حققه المؤتمر هو التخفيف لحدة التوتر فى الشئون الدولية ، ولكن هؤلاء الذين كانوا يطمحون الى مكاسب ملموسة ومحددة تحققها

/.

جنيف فقد اصابهم اليأس من المسائل الجوهرية المعقدة بالصعاب مثل الامن الاوربى والوحدة الالمانية ونزع السلاح ومشكلات الشرق الاقصى لم تكن حتى فى جدول الاعمال وقد تـرك تنظيمها لمؤتمر من وزراء الخارجيـة .

وكان التقدم الذى تحقق هو اقتراح ايزنهاور حول السماوات المفتوحة ويتضمـن تبادل مسودات المنشآت العسكرية فى كل من الولايات المتحدة وروسيا وتسهيل التصويـر الجوى كوسيلة للاستكشاف المتبادل ، كما كانت فكرة التفتيش الدولى التى قدمها الروس معتمدة الى حد كبير ، ومن ناحية أخرى وجد الروس اقتراح ايزنهاور فى غير صالحهم حيث ليس لـدى الامريكان مالدى الروس من اسرار حربية يخفونها .

غير ان اقدام الاتحاد السوفيتى على تخفيض قواته العسكرية كان لفته واضح بهـا " روح جنيف " فقد خفضت قواته التى بلغت ٥ مليون جندى بما قيمته ٦٤٠,٠٠٠ شـم وصلت الى ١,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٥٦ غير ان هذا التخفيض فى القوات التقليديـة لم يتوازى معه أى تقدم فى مجال اكثر اهمية وهو مجال نزع السلاح الذرى .

التقارب مع تيتـو :-

كان من ابرز العناصر المكونة لسياسة فريق الحكم الجديد فى الاتحاد السوفيتى — خروشوف — بولجانين هو تسوية النزاع المرير مع يوغوسلافيا (١) بعد سنـوات

(١) — تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل فى الحديث عن سياسة يوغوسلافيا الخارجية

عديدة من الهجوم على " التيتوتية وصنوف القهر التى نزلت على اتباعها والذين سمــــوا بالخيانة والعملاء والجواسيس اصبحت مشكلة تدعو الى الالم بالنسبة للشيوعية الدوليــــة ولذلك كانت هذه المشكلة اول النقاط فى جدول القادة السوفييت الجدد وهم يشرعون فــى تصفية الميراث المتوتر الذى خلفه لهم ستالين • وليس مبالغة القول بان اعوام ١٩٥٥ — ١٩٥٨ كانت المشكلة اليوغوسلافية تحتل أعلى مراتب الاهمية فى اهتمامات الحكومــــة السوفييتية •

وفى نهاية مايو عام ١٩٥٥ زار خروشوف وبولجانين وميكويان بلجراد وقد افتقد المراقبــون فى هذه الرحلة مولوتوف الذى كان من دعائم الشقاق مع تيتو وكان لا يعتبر ان نظامه اشتراكــى بأى حال ودوليا فهو قد " انحرف عن طريق التعاون مع الاتحاد السوفييتى " بل ان رأيــه فى محاولة التقارب هذه انها دعم ثبات اليوغوسلافيين على اتجاهاتهم الانحرافية فان هذا التقارب له آثار سيئة فى شكل ومضمون العلاقات مع بقية بلدان المعسكر الاشتراكــى •

فى هذه الزيارة وضع خروشوف كل اللوم فى سوء العلاقات على "الدور الخبيــــث الذى قام به بريا وآخرين • وبعد مشاورات طويلة اصدر الروس واليوغوسلاف بيانا مشتركــــا عن محادثاتهم فى ٣ يونيو عام ١٩٥٥ وربما كانت اهم فقراته تلك التى تركز على "الاحتـرام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لاى سبب كان ما دامت امور النظام الداخلــى والنظم الاجتماعية المختلفة والاشكال المختلفة للنظم الاشتراكيــة هى من الامــــور الخاصة للشعوب والبلدان المعنيــــة "

%

بل انه من المفيد أن نورد هنا فقرة من احدى الخطب التي القاها تيتو خلال هذا الحوار وهي ليست ذات دلالة على طبيعة العلاقات بين اليوغوسلاف والروس فحسب بل وعلى المنظار الجديد للاتحاد السوفييتي بالنسبة لعلاقاته مع كافة اقطار الكتلة الاشتراكية واحتمالات التطور فيها ، بل ان هذا التحليل يمكن ان يتسع وبالتالي ليشمل مواقف الاتحاد السوفييتي من الاقطار الجديدة التي تسلك سبيل الاشتراكية :ـ

"لقد توصل القادة الجدد في الاتحاد السوفييتي بعد ستالين الى ان هناك اشتراكيـــا واحدا ـ بغض النظر عما هو ـ لايستطيع ان يحكم العالم ، فثمة شعوب عديدة في العالم ذات تجارب تاريخية مختلفة ، وانه لمن الضروري لتلك الامم ان تقرر طريقها الخاص وانه لمن المستحيل اخضاعها لاطار واحد موحد .. لقد وافقوا على ان يوغوسلافيا سوف تبني نظامها بطريقها الخاص وانهم سيبنون نظامهم كذلك بطريقهم الخاص "

وبذلك حقق تيتو نصرا عظيما ، فالزوار السوفييت الذين "حجوا" الى بلغراد لم يدينـــوا الحملة التي تعرض لها تيتو واثبتوا سخف ما أعلنه ستالين وانه "سيحرك أصبعه الصغير فيحطـــم هذا التيتو "بل انهم اعترفوا بالمبدأ الاول الذي اعلنه تيتو من "الاشكال المختلفة لتقدم الاشتراكية" .

وقد كان طبيعيا ان يطالب تيتو بازالة العناصر التي كانت تدعم الحملة عليه ، كما السبب يرد اعتبار العناصر التي ادينت من اجله وقد استجيبت مطالبه الى حد ما . ومن ناحية أخرى كان على بقية دول أوربا الشرقية والتي كانت علاقاتهم بيوغسلافيا قد تدهورت ان تتبع السياسة السوفييتة الجديدة وتشرع في بناء علاقات صحية مع يوغوسلافيا .

٤٠

وحين نتوقف لكي نقيم اهداف السوفييت من هذا التقارب مع تيتو ، سنجد ان هـــذه السياسة لم تكن هباء ، فقد عاد القادة السوفييت من رحلتهم بمكاسب سياسية ، فتيتو باستقلاليته لابد وان يكون حليفا قويا للسياسة الجديدة للتعايش العالمي كما انه يستطيع ان يؤثر بفاعليته على الحياديين في العالم الغربي خاصة بعد أن اكتسب مكانة عالمية جديدة ، كما انه بصداقاته وعلاقاته مع القادة الآسيويين والحياديين مثل نهرو وعبد الناصر قد يصبح من العناصر المساعدة للسياسة السوفيتية .

وقد بدى تأثير تيتو في القادة الروسيين جعلهم — وبعد أسابيع من اعلانهم عـــن حلف وارسو — يعلنون ان سياسة التكتلات العسكرية تزيد من التوتر الدولي كما تفسد الثقـــة بين الشعوب وتزيد من خطر الحرب .

ومن ناحية أخرى فقد كان السوفييت يأملون انه بتعاونهم مع تيتو سيفسدون التحالف البلقاني الذي كونته يوغوسلافيا واليونان وتركيا عام ١٩٥٤ وكان هذا التحالف يضمن مساعدة احدى دوله التي تتعرض للهجوم والذي كان يعني في هذه الظروف الاتحاد السوفييتي أو احدى حلفائـــه كما ان هذه المساعدة البلقانية قد دعمت من التحالف الاطلنطي الذي كانت كل من اليونان وتركيا أحد أطرافه . وقد نجح هذا التقارب السوفييتي اليوغوسلافي في افساد التحالف البلقاني حيث افسد الثقة بين حلفاء يوغوسلافيا البلقان وكذا مع الغرب .

وقد تطور التقارب بين الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا وقدم الروس الى اليوغوسلاف قمهروز سخيفة ورحبت يوغوسلافيا بهجوم خروشوف على ستالين وبعث تيتو برقية الى المؤتمر العشريـــني للحزب السوفييتي اعلن فيها ان الاتحاد السوفييتي هو "اعظم دولة اشتراكية" .

وفي ابريل عام ١٩٥٦ حل الكومنفورم الذي هوجم من قبل تيتو واعتبره من اعدائه ، ثـــم مالبثان ازيح مولوتوف والذي كان العنصر الوحيد المتبقي في السياسة السوفييتية من دعـــاه

ع.

السياسة الستالينية تجاه تيتو وحل محله وجه جديد كان بتكوينه وعمله تعبيرا عن المرحلـــة الجديدة وفى السياسة الخارجية السوفييتية وهو ديمتري شبيلوف رئيس تحرير برافدا وهكـــذا تهيأت ظروف ملائمة لاستمرار علاقات الصداقة بين موسكو وبلجراد •

وفى يونيو عام ١٩٥٦ استقبل تيتو فى موسكو استقبال الابطال المنتصرين ولم يحـــدث فى الواقع "لابن ضال" أن أعطى مثل هذا الاستقبال وكان يبدو وكأن الشعب السوفييتي سعيد لرؤيته واذا كان تيتو خلال زيارة القادة السوفييت وبلجراد مازال متمسكا فى نواياهم فان زيارته هذه لموسكو قد أذابت الجليد ومهدت الطريق الى تعاون أوثق لا بين الحكومات فحسب بل وبين الحزبين كذلك • عند هذه الزيارة صدر بيان هام فى تحديده للشكل الجديد للعلاقات جـــاء فيه " انه التزاما بالنظرة القائلة بان ظروف وشروط التقدم الاشتراكي تختلف باختلاف البلـدان • وان ثراء اشكال التقدم الاشتراكى انما يقدم اضافة وتدعيما لها • وانطلاقا من حقيقة أن أى اتجاه غريب ومعادى يجب ان يستبعد • فقد اتفق الطرفان على أن التعاون المشترك يجب أن يقوم على الحرية الكاملة للارادة والمساواة وعلى النقد المشبع للصداقة وعلى الطابع الرفاقى فى تبادل وجهات النظر حول المشكلات بين الحزبين " •

تطور الاستراتيجية العسكرية السوفييتية وتأثيرها على السياسة الخارجية :

يلاحظ أن الاهتمام الرسمي السوفييتي بالقنبلة الذرية التي القيت على اليابان عام ١٩٤٥ كان ضئيلا بحيث وصفت بأنها محدودة • وحتى بعد اجراء الولايات المتحدة الامريكية العديـد

ج •

من التجارب الذرية ، اجاب ستالين على احد الاسئلة بقوله "انى لا أعتقد ان القنبلة الذرية تمثل قوة خطيره كما يود بعض الساسه ان يصوروا ، فالقنبلة الذرية انما تخيف فقط مهزوزى الاعصاب، وهى لا تستطيع ان تحسم نتيجة الحرب طالما ان القنابل الذرية ليست كافية لهذا الغرض" .

غير أن هذا الموقف من القنبلة الذرية لم يمنع الاتحاد السوفييتى من الاندفاع فى انتاج القنبلة الذرية وهو ماانجزه عام ١٩٤٩ ، ومع هذا كان تفجيرها كان له تأثير قليل على فكر ستالين العسكرى ، فقد ظل يعتقد فى المبادىء الخمسة التى اعلنها يوما ما باعتبار انها هى التى تحكم الحرب وتحسمها ، وهذه المبادىء هى على التوالى :

استقرار الجبهة الداخلية ، معنويات القوات المسلحة ، كمية ونوعية هذه القوات ، درجة تسلحها ، قدرات القيادة .

وقد اعتبر ستالين ان العوامل الاخرى مثل المفاجأة والجو والطبيعة والظروف الجغرافية ليست الا عوامل جانبية مؤقتة ، فهى قد تطيل الحرب وتؤثر فى مجراها غير انها لاتفيد فى نتيجتها ، وطالما ان البلدان الرأسمالية لاتملك هذه العناصر الخمسة بحكم نظامها الرأسمالى فهى محكوم عليها بالهزيمة فى أى حرب مع الاتحاد السوفييتى .

كان هذا هو حدود الفكر العسكرى حتى حكم ستالين ، غير انه بوفاته تعرضت الاستراتيجية العسكرية السوفييتية لنفس عناصر التغيير والنظرة المرنة التى تعرضت لها جوانب أخرى فى السياسة السوفييتية .

ع .

فقد بدأ يبدو أنه مجرد الاعتماد على التفوق السوفييتي في هذه العوامل يمكن أن يكون أمرا خطيرا للغاية بالنسبة لقدرات الردع السوفييتي في عصر الاسلحة الذرية ، وكان المأزق هو أن بعض القادة السوفييت العسكريين والسياسيين الذين تربوا على الفكر والاستراتيجية التي تعتمد على تفوق العوامل التقليدية تستطيع حقا ان تحقق كفاءة عالية لقدراتها الدفاعية في الجو والبحر والارض في نطاق هذه العوامل ، ولكنها بحكم تكوينها لاتستطيع أن تعطي اعتبارا كاملا لما تعنيه الاسلحة الذرية .

وقد كانت هذه النقطة هي أساس المناقشات التي دارت بعد ستالين وفي عهد مالينكوف حول السياسة الدفاعية ، وبدأت تظهر طائفة من المفكرين العسكريين السوفييت يعطون اعتبارا جديدا لاثر الاسلحة الذرية على الحرب الحديثة ووضعوا مجموعة جديدة تماما من الاهداف للاسلحة الذرية وهو ماكان له تأثير بالغ على السياسة الخارجية .

وقد بدأ هؤلاء القادة العسكريين يحتلون مناصب كبيرة في المؤسسات الدفاعية بعد عام ١٩٥٥ ، وبدءوا يوجهون الانظار الى أن أي هجوم ذري يمكن ان يهزم الاتحاد السوفييتي قبل أن تتمكن العوامل الخمسة الدائمة من أن تؤدى دورها ، وقد بشر بهذا التفكير الجديد وقدمه بشكل علني الماريشال روستمرستروف في مقال له بجريدة ردستار ،وكان روستمرستروف حريصا على الابقاء على صلاحية العناصر الخمسة فقال :

"نستطيع ان ندرك بسهولة ان نمو أهمية المفاجأة لاتقلل بأي حال من أهمية العناصر

الدائمة في تقدير نتائج الحرب بل أن دور هذه العوامل في تزايد " •

غير أن الماريشال اضاف النظرة الجديدة لدور الاسلحة الذرية فقال :

" •• ومع هذا فانه من الضروري أن نقرر بوضوح أنه في بعض الحالات فان العــــدوان المفاجئ • باستخدام الاسلحة الذرية والهيدروجينية يمكن أن تبرز باعتبارها احد العناصـــــر الحاسمة في تحقيق نتيجة الحرب ليس فقط في الفترة الاولى للحرب ولكن في الحرب باسرها " •

وقد دفعت هذه الصياغة الحذرة والجريئة في الجمع بين العناصر القديمة والجديدة كثير من العسكريين السوفييت الى تقديم تحرهم حول هذا العناصر • فكتب نائب وزير الدفاع السوفييتي الماريشال باجرميان :ـ

"من تاريخ الحروب ومن فن الحروب فانه من الواضح أن عنصر المفاجأة في هجوم ضـــارب للعدو يضمن تقدما معقولا للمعتدي في الحرب • وأن أهمية عنصر المفاجأة يتزايد بالتطـــــور المعاصر للقوات المسلحة والتكتيك الحربي • وما دامت الضربة الخاطفة يمكن ان توجه لا الـــى القوات في الجبهة ولكن ايضا ضد الاهداف الاستراتيجية وكذا للمراكز الاقتصادية البعيدة عنها " •

وتبدو الانعكاسات الاولى للاعتبارات الذرية الجديدة على السياسة الخارجية فيما بدأ يظهر في صحف ومجلات الحزب • ففي نوفمبر عام ١٩٥٣ ظهر مقال يؤكد "ان الاسلحة الذريـــة تفتح امكانيات شل قانون حتمية الحـــــرب " •

واقترح المقال أن ترسم السياسة الخارجية على أساس مراعاة هذه العناصر الجديدة فـــي الاسلحة الحديثة وأن تراعي مبادئ المساومة والتنازلات •

ع•

وفي عام ١٩٥٤ وكان الاتحاد السوفييتي قد فجر قنبلته الهيدروجينية عام ١٩٥٣ - أعلن ميكويان أن خطر الحرب قد تناقص بشكل كبير لأن الاتحاد السوفييتي يملك أسلحة ذرية وهيدروجينية .

كما ذكر مالينكوف "ان الحكومة السوفييتية تعارض بشدة الحرب الباردة ذلك لأن هذه السياسة انما تعني سياسة الاستعداد لمجزرة عالمية جديدة وهو ما يعني مع الاسلحة الجديدة دمار المدينة ".

بذور التغيير في أوربا الشرقية :

شهدت الاوضاع في بلدان أوربا الشرقية في الفترة التي اعقبت حكم ستالين بعض التجديدات.

١- في العلاقة بين الحزب والحكومة اعطى مزيد من المسئوليات والذاتية للسلطات الحكومات حيث كانت اجهزة الاحزاب واجهزتها هي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في تقدير السياسات المختلفة وتحديد خطوط العمل وبعد ان كان يجمع بين منصبي سكرتير الحزب ورئاسة الدولة فصل المنصبين في بعض البلدان وبرزت القيادة الجماعية عن طريق المكتب السياسي .

٢- الاقلال من اجراءات التطهير والبوليس السياسي الذي ظهر واعيد تنظيمه واعلنت حالات كثيرة من العفو ورد الاعتبار النسبي لبعض ضحايا ستالين .

٣- ظهور المطالبة بتقليل التضحيات من اجل الصناعة والصناعات الثقيلة بالذات

وبدء اعطاء مزيد من الاهتمام للسلع الاستهلاكية والمستويات المعيشية والزراعة وتحسين احوالها • وباعتبار ان الاصلاحات التى ظهرت الحاجة اليها فى الاتحاد السوفييتى قد بدت وكأنها ملحة فى شرق أوربا اذا ما اريد تفادى الاضطرابات والقلاقل والحركات الثورية • فاذا كان قد أمكن اخفاء عدم الرضى المنتشر فى عهد ستالين بأساليب المكتب البوليسى والارهاب فانه الآن قد أصبح من الممكن أن يظهر هذا السخط ويعبر عن نفسه علانية •

لذلك فقد بدأ البحث فى دول شرق أوربا عن القادة الذين يمكن ان يتلاءموا مع هذه الظروف الجديدة وأن يطبقوا الاسلوب الجديد فى دول شرق أوربا • غير أن البحث قد أثبت أن الأمر صعب وعسير • فقد بدى انه من الصعب العثور فى دول شرق أوربا على مجموعات من الحكام يمكنهم ان يكونوا على النموذج المتوازن الذى تقدمه القيادة الجديدة وعدم ذهابها فى نفس الوقت الى التطرف فى التطلع الى ظروف واوضاع ربما مغايرة تماما للظروف والعلاقات السائدة •

فعناصر مثل راكوسى فى المجر • وميلوسلاف بيرت فى بولندا • هرتنكرشى بلغاريا والبرخت فى المانيا الديموقراطية • ونوفتنى فى تشيكوسلوفاكيا لا يمكنهم بحكم تاريخهم وبحكم تكوينهم وروابطهم الستالينية القديمة ان يتقبلوا بسهولة الاتجاه الجديد والتيارات الجديدة وان كانت التجارب قد اثبتت ان بعض هؤلاء القادة الذين لم يمكن تغييرهم بعناصر جديدة قد اثبتوا قدرتهم على المرونه والتكيف مع الاوضاع الجديدة مع عدم السماح باحداث تغيرات جذرية فى الاوضاع القائمة ونموذج هؤلاء الحكام هم نوفتنى فى تشيكوسلوفاكيا والبرخت فى المانيا الشرقية غير

انه علينا ان نشفق تجاه هذا النموذج من الحكام وفى قدرتهم على التلاؤم مع آمال مجتمعاتهم التى تتزايد يوما بعد يوم فى تغيير أوسع مدى قد لاتستطيع ان يتحمله لاماضى ولا تكوين هـذا النموذج من الحكام (١).

أما البديل الآخر لهذا النمط من الحكام فى بلدان شرق أوربا فقد كان يتمثل فى المجموعات التى يمكن أن يطلق عليها اليمينيين أو الوطنيين (فى نطاق اليسار طبعا) وكان برنامج هـذه المجموعات يتضمن الكثير من العناصر التى كانت تدعو الى عدم التطرف فى التصنيع على حساب اهمال الاهتمام بالمستوى المعيشى أو الزراعة، كما أن قادة هذه المجموعات التى قد يكـون بعضها قد تعرض لقهر البوليس السرى يريدون تقليل سلطة البوليس وينادون المزيد من الديموقراطية وان كانوا لايطمحون فى النموذج الغربى للديموقراطية.

غير أن جوهر الصعوبة فى برنامج هؤلاء هو انهم كانوا يطالبون بالاضافة الى هـــذا بشىء من الاستقلالية عن موسكو والتقليل من العلائق الاقتصادية والمزيد من هذه العلاقـات مع الغرب واتباع سياسة خارجيـة ذاتية.

وهكذا مثلت هذه المجموعات الطرف المتطرف اذ يمكن اعتبار مواقفهم تنطوى على مواقـف كمواقف تيتو، وكما كانت المجموعة الاولى من الحكام لاتتلاءم مع الظروف الجديدة وتمسكهــا بالاسلوب الستالينى القديم فى حكم شعوبها، كذلك كانت هذه المجموعة اليمينية المتطرفة الـتى تتعدى المرحلة المطلوبة منها الى مرحلة أبعد واخطار غير مقبولة كذلك.

---

(١) طبق هذا الرأى مع الاحداث التى وقعت فى تشيكوسلوفاكيـا.

وها هنا كان المأزق الذى واجهته القيادة السوفييتية الجديدة والذى تمثل فى هذه الحيرة فى الاختيار بين العناصر التالينية المتحجرة والعناصر الستالينية المتحررة .

ورغم انه لم يكن المقصود بأى حال الاتجاه الى التحرر السياسى الكامل لهذه الدول فان الاتجاه الى تقليل الضغط السوفييتى وانهاء الطابع الذى اتخذه حكم ستالين قد أدى الى العديد من الحركات داخل الديموقراطيات الشعبية والتى بلغت القمة من حيث العنف وطاقة الثورة فى أحداث اكتوبر ، نوفمبر عام ١٩٥٦ فى بولندا والمجر وتدرجت الى الطابع السلمى المتطور والتى تبلورت فيما يمكن ان يسمى بالثورة السلمية فى علاقات رومانيا بالاتحاد السوفييتى .

واذا ما شئنا ان نلخص التطورات التى ساهمت فى ابراز موجة التحرر السياسى فى بلدان شرق أوربا وتحريك عناصر التغيير فيها فنستطيع أن نوجزها فى الاتى :ـ

١ـ اتجاه التغيير فى العلاقات والمناخ العام فى الاتحاد السوفييتى ذاته بعد وفاة ستالين وهو ماكان لابد أن ينعكس بالتالى على بلدان أوربا الشرقية .

٢ـ رغبة القيادة السوفييتية الجديدة فى اضفاء طابع جديد سواء على الاوضاع الداخلية فى بلدان شرق أوربا أو على علاقاتها الثنائية والجماعية معها لا يحمل طابع القسر والتبعية الكاملة التى كان يحملها فى عهد ستالين .

٣ـ انحسار نفوذ وسلطة البوليس والبوليس السرى فى معظم بلدان أوربا الشرقية .

ع .

٤ـ التقارب السوفييتى اليوغوسلافى والذى كان قد ضايق العناصر التقليدية فــــى بلدان أوربا الشرقية فانه قد اعطى مزيدا من التدعيم للعناصر الباعيـــــــة للتغيير فتيتســو الذى اعلن ذاتيته وتمسك بموافقة الاستقلالية لم ينتهــى كمـــا كان يتصور ستالين بل أن القيادة السوفييتية قد سعت اليه وخطبت وده فهــو اذن نموذج لموقف استقلالى استطاع ان يصمد وأن يخرج منتصرا •

٥ـ الاحداث المقبلة للمؤتمر العشرين والتى كان أبرزها ادانة ستالين وهو الحـــدث الذى حكم الفترة التى تلته سواء فيما يتعلق بالاوضاع الداخلية فـــى بلـــدان أوربا الشرقية أو فى علاقاتها بالاتحاد السوفييتى ثنائية أو مجتمعة •

ع•

المؤتمـــــر العشـــرون

تمهيـــــد :-

لانستطيع ان نفصل بين المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى والذى عقد فـــى فبراير عام ١٩٥٦ وبين الأحداث والتطورات البطيئة العميقة التى وقعت فى المجتمع السوفييـتى منذ وفاة ستالين ، ولم تكن هذه الاحداث قاصرة على المواقف والقرارات السياسية فحسب والتى ذهبت كما رأينا الى التارجح فيما بين روح التشدد والجمود الستالينى وبين بوادر التغيير والانفتاح على مفاهيم جديدة ، نقول ان هذه التطورات قد لمست كذلك كافة مظاهر الحياة فى المجتمع السوفييتى ابتداء من الزراعة والتكنولوجيا والاقتصاد حتى الثقافة والفكر والفن بل وحتى الازياء..

وقد كان الفكر دائما فى فترات التحول العميق فى حياة الشعوب والمجتمعات هو المبشـر الارهاصات الجديدة بهذا المعنى لم تكن رواية الكاتب السوفييتى العظيم "ايليا اهرنبرج" "ذوبان الجليد" الا اعلانا عن حقبة جديدة وعنوانا لفترة باسرها ، والى جانب هذا العمل الروائـــى ظهر حدثان ثقافيان آخران كانا ايذانا بمستقبل الحـــداث للمؤتمر العشرين ونعنى بهذيــن الحدثين "السيمفونية العاشرة" لشوستاكوفيتش ومسرحية "الحمام" لماياكوفسكى ، وقد رأى النقاد فى السيمفونية العاشرة صراعا بين الماضى والمستقبل والذى كانت تجرى فيه عمليات النضـــال والحركة والتغيير .

ع .

وقيل أن مؤلفها قد بث فيها احساسه بمشكلات اليوم الحية وآراؤه ومشاعره تجاه الانسان المعاصر بعامة والانسان السوفييتي بخاصة ، أما "الحمام" فقد رأى فيها الناس مذاقا جديدا وهي ترفع صوت المعارضة ضد البيروقراطية وكان عرضها بمثابة الهام وايماء .

ومن ناحية أخرى فقد كانت المشكلة الزراعية هي التي فجرت الموقف وفتحت الآفاق لكشف كافة جوانب التطبيق . ففي الوقت الذي كانت فيه الصحافة وادوات الاعلان تصور قرى سعيدة وتعكس صورة وردية عن الزراعة اذا بخروشوف في اجتماع اللجنة المركزية في سبتمبر عام ١٩٥٣ يعلن ان هذا كله ليس الا حلما وان الزراعة متخلفة عن البرامج المعدة لها وان الانتاج أبعد مايكون عن أن يكفي حاجات السكان المتزايدة ، واذا كان تقرير خروشوف هذا قد تناول تحليلا للوقائع والارقام والمستندات ، فانه في تقرير ثاني قد ذهب الى ادانة الافراد وادانة أساليبهم في العمل وعلى الظروف السياسية والاقتصادية التي يعملون في ظلها ، ولأول مرة تعلن الحقائق باسرها ومن فوق منابر الحزب وكانت النتيجة هذه حقيقية وكانت من أعظم الأدلة على أن ثمة تحولا هاما يجري في البلاد .

وبدأت بعد هذا عملية البحث في النفس فاذا كانت مثل هذه المشاكل قائمة واذا كانت هذه الاخطاء قد ارتكبت فلماذا لم يتكلم أحد ؟ وهل يرجع هذا الى العناصر المسئولة عن هذه الاخطاء أم أن النظام بطبيعته هو المسئول عن ظهورها ؟

واذا كان الحزب هو "المسئول عن كل شيء" فلماذا لم ينبه اعضاؤه وعناصره في مزارع الدولة والمزارع الجماعية الى عناصر الخطر في الموقف . وقد دفع هذا التساؤل الى اشارة

الاسلوب التى تداربه اجتماعات الحزب والانتخابات التى تتم داخله ، وحالة الزهو بالنفس والتمويه بدلا من النقد الذاتى •

وكان توجيه الزراعة وادواتها هو تعبير عن الاسلوب الذى تدار به سائر الأوضاع الاقتصادية فى الدولة ومن ثم بات نظام الدولة والاساليب التى يحطى بها مهددا بالخطر أودعت "الكميونست" وهى المجلة النظرية للحزب الى "حرب لارحمة فيها ضد النظم البيروقراطية التى تعتمد على الورق والروتين •"

وقد دفعت موجة نقد النفس التى سرت وبالذات فى مجال تخلف التكنولوجيا السوفييتية الى اثارة العزلة الحضارية التى يعيش فيها الاتحاد السوفييتى والانتاج السوفييتى وعدم تفتحه على منجزات العالم فى العلم والتكنولوجيا ليفيد منها • ففى اجتماع اللجنة المركزية للحزب وهو الاجتماع الذى سبق ومهد للمؤتمر العشرين قارن بولجانين فى تحليله للتكنولوجيا السوفييتية بين الآلات السوفييتية ومثيلاتها المصنوعة فى دول أجنبية كأمريكا والمانيا بل حتى تشيكوسلوفاكيا وهى دولة اشتراكية ولم تكن النتيجة فى صالح الانتاج المحلى وقد أرجع بولجانين ذلك الى الدول الى ينظر بها الانجازات الاجنبية والحط من قيمتها مما عزل الانتاج السوفييتى عن عناصر كانت يمكن ان تطوره وهاجم بولجانين العناصر المتعصبة التى كانت تعتقد ان العالم الخارجى لايقدم شيئا يستحق أن يتعلمه من ولد فى ظل الاشتراكية وتكتفى بترديد ان كل شىء قد اخترع فى الاتحاد السوفييتى • كل هذا أقام اسوار من العزلة الحضارية حرمتها من كل تقدم فنى وتكنولوجى فى أوربا وأمريكا •

ع •

وقد ارتبطت بداية عام ١٩٥٥ بالانباء التى بدأت تتردد على الاستحياء والتى اشاعت من الشعب السوفييتى روح النبطة المختلطة بالأسى ونعنى بها انباء رد الاعتبار للعناصر التى راحت ضحية لأساليب الارهاب والتعسف ، وكانت ابرز قضايا رد الاعتبار هى قضية "فوزنسينسكى" والذى كان قبل الحرب عضوا فى رئاسة الحزب ونائبا لرئيس الوزراء ومديرا عاما للتخطيط ثم اختفت فجأة عام ١٩٤٨ ، وكذا رد اعتبار "لوزدفسكى" الزعيم الشهير والقديـر لحركة النقابات وللدبلوماسية السوفييتية بل انه بدأت عناصر عديدة تعود من معسكرات الاعتقال والعمل وكانت كثرتهم من الشيوعيين .

كان هذا هو المناخ الذى سبق انعقاد المؤتمر العشرين ، والذى كان ينبىء بتغيرات فى العناصر التى صنعت هذا المناخ .

غير انه فى المجال السياسى البحت كان من أبرز الاجتماعات التى مهدت للمؤتمر العشرين هو اجتماع اللجنة المركزية الذى عقد فى يوليو عام ١٩٥٥ أى قبل اجتماع المؤتمر بستة شهور وكانت السياسة الخارجية هى من أهم الموضوعات التى نوقشت فى هذا الاجتماع وبدى بوضوح ظهور تيارين يمثل احدهما خروشوف وميكويان ويمثل الآخر مولوتوف ، كان الاتجاه الاول يمثل الدعوة الى أسلوب جديد فى العلاقات الدولية بينما تمسك مولوتوف بالاسلوب التقليدى المحافظ ورغم ان مولوتوف اقر بوقوع اخطاء الا انه برر أسلوب ستالين وتمسك به ، فقد عبر مولوتوف عن شكه فى امكان تحقيق شيوعية بدون الاساليب الستالينية وبدون المنهج والفكر الستالينى ، وان الاسلوب الجديد الذى يدعو اليه البعض سوف يؤدى الى الانحراف والمراجعة والهرطقة .

فى هذا الاجتماع حدد خروشوف ملامح رؤياه للموقف الدولى ومفهومه للسياسة الخارجية السوفييتية فى الاتى :ـ

١ـ ان الثورة فى البلدان الغربية ليست وشيكة الوقوع وأن أى محاولة من جانب الحركات والاحزاب الشيوعية لاثارة مثل هذه الثورة مصيرها الفشل •

٢ـ ان الاتحاد السوفييتى يجب ان يظل نشطا فى الغرب دون اثارة منازعات كما يجب ان يواصل الهجوم فى الدول المتخلفة بغرض فصلها عن المعسكر الاشتراكى وتقوية روابطها بالمعسكر الاشتراكى •

وفى هذا المؤتمر دافع خروشوف عن التنازلات التى قدمتها موسكو حين وقعت المعاهدة النمساوية وقبلت تحييد النمسا فاوضح أن هذا يمثل جزء من الاستراتيجية اللينينية التى تقبل التضحية ببعض المواقع من أجل مكاسب أكبر ففى النمسا خسر السوفييت بعض القواعد ولكن كسبوا مقابلها اثبات اتجاههم المسالم بدون أن يكون فى هذا التنازل تدعيم للجهود والامكانيات العسكرية لمخالفية •

كما دافع خروشوف كذلك عن الاتجاه الجديد تجاه يوغوسلافيا ومن رحلته الى تيتو وحمل الاساليب الستالينية وبريا والخبراء الروس وأساليبهم تدهور العلاقات بين البلدين أما مولوتوف فقد ظل متمسكا بموقفه من تيتو ومن التشكيك فى كونه شيوعيا وأن حزبه لا يختلف عن نموذج الأحزاب الديموقراطية أو الحزب الألمانى الاشتراكى •

عدم حتميـــــــة الحـــرب :

كانت أهم المفاهيم الجديدة التي ظهرت في المؤتمر العشرين هو عدم حتمية الحـــرب ، فقد كانت الافكار الرئيسية للفلسفة السياسية السوفييتية منذ لينين وستالين أنه ليس هناك نهايـــة للحروب طالما بقيت الرأسمالية ـ بل ان هذا المفهوم ظل ساريا حتى بعد وفاة ستالين ففـــي عام ١٩٥٤ نشر جماعة من كبار النقاد الشيوعيين كتابا رسميا يقررون فيه " .. انه في الوقـــت الحاضر فان المبدء اللينيني عن حتمية الحرب بين البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسماليـــة لايـــزال ســــاريا " .

غير انه قبل ان نسجل التفسير الذى طرأ على المفهوم في المؤتمر العشرين يجب ان نضـــع في الاعتبار تعاظم الشعور بالاطمئنان لدى القادة الجدد في الاتحاد السوفييتي تجاه وضعهم الدولي والثقة بالنفس وتضاءل الشعور بخطر التهديد الذى يشعر به كل من لينين وستالـــين مثلا ، فمنذ عام ١٩٥٣ وهو عام وفاة ستالين حتى عام ١٩٥٦ كان الاتحاد السوفييتي قد دعم موقفه الدولي بزيادة قدراته الاقتصادية وامكانياته بحصوله على القنبلة الهيدروجينية ، وفـــي علاقاته مع بلدان أوربا الشلاقية بدت وكان الوحدة بين هذه البلدان والاتحاد السوفييتي فـي اتجاه التدعيم وعلى أسس أكثر مدعاة للاطمئنان ، كما توطدت علاقاتها بالصين وبالبلدان الآسيوية ، وبدء هذا من زيارات خروشوف للصين وللارتباطات التجارية والمساعدات التي نجمت عنها وزياراته للهند وبورما وافغانستان ، وفي الشرق الاوسط ، بدى وكأنه الجدار التقليدى القائم بين روسيا وبين بلدان هذه المنطقة يتهدم وبدءت صفحة جديدة من العلاقات مع بلدان هذه المنطقة .

ع.

كانت هذه هي العناصر التي راعاها القادة الجدد في الاتحاد السوفييتي وهم يفهمون الوضع الدولي الجديد ومكان الاتحاد السوفييتي فيه وانعكاساته على تكييف أوضاع السلام والحرب واقتنعهم هذا التقييم ان الاتحاد السوفييتي ومعسكره واصدقائه الجدد صار المعسكر في مركز القوى وقادر على تفادى الحرب بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي • وهذا ما دفع خروشوف لان يعلن في المؤتمر "٠٠ أن هناك مبدأ ماركسي لينيني يقول انه طالما بقيت الرأسمالية فان الحروب لا مفر منها • ان هذا كان صوابا قبل الحرب الثانية • أما الآن فلم يبق هناك حتمية للحرب ففي العالم الان قوى تبدو سياسية واقتصادية تملك وسائل خطيرة قادره على منع الامبرياليين من شن حرب وتوجيه ضربة قاصمة للمعتدين اذا ماحاولوا أن يثيروا مثل هذه الحرب" •

وعلى النقيض من مبدأ تعدد الطرق الى الاشتراكية الذى كان يمكن الاستناد فيه الى كتابات ماركس وأنجلز ولينين وتبريرها فان مبدأ عدم حتمية الحرب كان على النقيض من ذلك متعارضا مع الكتابات الصريحة للنين بالذات ففي كتابه "الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية" حيث يقرر ان الحرب أمر حتمي في عصر الرأسمالية وهكذا كان لابد من مراجعة لينين نفسه وقد ظهرت هذه المراجعة في تفسير خروشوف بان ما أعلنه لينين كان يتفق مع الظروف التى كانت تسود العالم حينذاك حيث كانت الامبريالية تسيطر على النظام العالمي • وكانت القوى الاجتماعية والسياسة التي ليس لها مصلحة في الحرب من الضعف بحيث لا تستطيع منعها • اما الآن فان الموقف قد اختلف وباتت القوى المعادية للحروب سواء داخل القوى الرأسمالية أم خارجها من القوه بحيث يمكنها منع الحرب •

ع•

وقد كان هذا يعنى فى مجال الجدل الايدلوجى تحولا أساسيا عن المذهب اللينينى الماركسى فقد أكد لينين ان الرأسمالية بطبيعتها تتطلع الى التوسع وتملك مناطق جديدة ومستعمرات جديدة وماداما العالم ينقسم الى قوتين كبيرتين فان الرأسمالية يمكن أن تلبى حاجاتها الملحة بالحروب فقط ، وهكذا فان الحروب الاستعمارية هى أمر حتمى • فمبدأ حتمية الحرب ليس عنصرا طارئا فى الفلسفة اللينية الستالينية كما انه ليس جزءا يمكن أن يتجاوز أو يستبدل بعنصر آخر فهو عنصر كامن فى اعماق أو الفلسفة السياسية عند لينين وستالين •

فان كان ستالين مصرا على فرض الايدلوجية على سياسته الخارجية رغم ماقد يبدو من عدم اتفاقها مع الموقف الفعلى ، فالايدرلوجية فى عهد ستالين كانت هى العنصر الاول فى أى تقدير للعالم الخارجى أما فى عام ١٩٥٥ فان الايدلوجية كان عليها ان تلائم نفسها مع الواقع وكانت النتيجة تزايد عنصر المرونة والمراوغة فى السياسة الخارجية السوفييتية •

تعدد الطرق الى الاشتراكية :

أما المبدأ الثانى الذى ظهر فى المؤتمر العشرينى للحزب السوفييتى فهو تعدد وتنوع الطرق الى الاشتراكية "فمنذ القطيعة مع يوغوسلافيا عام ١٩٤٨ كان الشعار الذى تحمل له كل الدول الاشتراكية هو "ان نتعلم من الاتحاد السوفييتى يعنى ان نتعلم من أجل النصر" كما استبعدت وحرقت كل كتابات ماركس وانجلز ولينين والتى ، كان يمكن الاستفادة بها لتبرير هذا المبدأ ـ أما فى المؤتمر العشرينى فان القادة السوفييتية لم توافق على مراعة الخصائص القومية ، والتطور

٤م

الاشتراكي فحسب ولكن خروشوف تحدث عن امكانية الوصول الى الاشتراكية عن الطريق البرلماني . فقد قال في تقريره امام المؤتمر ان الانتقال الى الاشتراكية كان دائما مرتبطا بالحرب الأهلية . وان الطريق البرلماني كان مغلقا أمام البولشفيك ولكن في هذا الوقت "ثمة تغييرات أساسية قد حدثت جعلت من الممكن تناول هذه المسألة بشكل آخر" ففي عدد من البلدان الرأسمالية تقوم اليوم امكانية حقيقية لهزيمة القوى الرجعية المعادية للشعب من خلال الطريق البرلماني . وبالتأييد الشعبي فان الوصول الى أغلبية مستقرة في عدد من البلدان الرأسمالية وكذا في عدد من البلدان التي تحررت من الاستعمار سوف يخلق ظروف تتحقق في ظلها تغييرات اجتماعية أساسية .

ونستطيع ان نبين المدى الذى كان قادة المؤتمر العشرين ينوون الذهاب اليه في اقرار مبدأ تعدد الطرق الى الاشتراكية من تتبعنا للكتابات التى أبرزوها لكل من ماركس وانجلز ولينين والتى تؤكد امكانية هذا المبدأ وتبرره حيث تذهب الكثير من كتاباتهم الى أن الطريق الى الاشتراكية يختلف من قطر الى قطر وأن ثمة ظروف يمكن للتحولات الاجتماعية والاشتراكية أن تتحقق فيها من خلال الطريق البرلماني . ففى المؤتمر استشهد ميكويان بخطاب القاه ماركس عام ١٨٧٢ جاء فيه "نحن لانقول ان الطرق الى المجتمع الاشتراكي تتشابه في كل مكان ، اذ نحن نسلم ان ثمة مؤسسات وعادات وأصول يجب أن توضع في الاعتبار ، كما اننا لاننكر ان هناك عدد من البلدان مثل أمريكا وانجلترا يمكن للعمل فيها الوصول الى هدفهم بالطرق السلمية " .

ع .

كما أوردت استشهادات أخرى من ماركس وانجلز فى هذا الموضوع ، فابرز قول ماركس فى احدى المناقشات التى دارت عام ١٨٧٨ " انه اذا قدر للعمال فى انجلترا والولايات المتحدة أن يفوزوا بأغلبية برلمانية فانه فى امكانهم دستوريا ان يزيلوا القوانين والتشريعات والمؤسسات التى تقف فى طريق تقدمهم " ، وفى المقدمة التى كتبها انجلز للطبعة الانجليزية عن رأس المال عام ١٨٨٦ ذكر انه فى انجلترا "فان الثورة الاجتماعية يمكن شنها كلية بالطرق السلمية المشروعة" كما ضم انجلز فيما بعد فرنسا ضمن الاقطار التى يمكن التحول الاشتراكى فيها ان يتم سلميا .

غير ان القادة السوفييت كانوا فى نفس الوقت حريصين على ان يعلنوا انه اذا كان فى الامكان الاعتراف بامكانية التقدم السلمى نحو الاشتراكية الا أن هذا يجب ان لا يختلط بالافكار الاصلاحية وانه يجب ان لا ننسى "ان الثورة سواء كانت سلمية أم لا فهى ثورة "وهكذا كان مضمون الانتقال السلمى كما أعلنه القادة السوفييت الجدد هو امكانية لا أكثر .

وعلى الرغم من أن نطاق بحثنا هو تسجيل ورصد المبادئ والاتجاهات الجديدة التى ظهرت فى السياسة الخارجية السوفييتية فى المؤتمر ، فانه من المفيد ونحن نعرض لمبدأ تعدد الطرق الاشتراكية الى الاشارة الى التضمينات الخطيرة التى كان يحملها هذا المبدأ .

فنحن مضموناته انه قدم للقوى المعارضة فى بلدان أوربا الشرقية لا المعادية للشيوعية فحسب بل وللعناصر اليسارية التى كانت تصر على وجوب أن يكون الشكل الاشتراكى لبلدانها متفقا مع مرحلة نموها التاريخى وتقدمها الحضارى ، نقول ان هذا المبدأ قد أمد هذه المجموعات بالدعم الايدلولوجى فى محاولاتها تحقيق شكل مستقل للتطور فى مجتمعاتها .

بل أن تأثيرات هذا المبدأ لم تكن لتقتصر على نظم الحكم ومجتمعات أوربا الاشتراكية فحسب بل انه كان من الطبيعى ان تمتد الى المجتمعات الجديدة التى تحررت حديثا من الاستعمار وراحت تقيم نظامها الاجتماعية فالمفهوم الستالينى التقليدى كان يعتبر كل اتجاه فى هذه المجتمعات لا يأخذ بالتطبيق الماركسى كما عرفه وطبقه الاتحاد السوفييتى هو اتجاه مرفوض بل هو اتجاه معادى للتطور الاشتراكى السليم يجب مقاومته • اما فى هذا المبدأ الجديد الذى تبناه المؤتمر العشرين فانه فى هذه المجتمعات الجديدة لا يصبح من الطبيعى فحسب بل من المنطقى أن يأخذ شكل التطور الاشتراكى فيها الوجهة التى تتفق مع طبيعة تكوينها الاجتماعى والاقتصادى ومراحل نموها التاريخى •

وقد استدعى هذا المبدأ شكل جديد من أشكال العلاقات بين الاتحاد السوفييت وهذه البلدان لا يقوم على التجاهل كما كان حتى عهد ستالين بل أصبح يتسم بالفهم الجديد لمراحل نمو هذه المجتمعات ولطبيعة تركيبها الطبقى وتغيرا فى النظرة الى طبيعة ودور ومهام الطبقات فيها (١)•

واذا كان قد اعترف بحق هذه البلدان أن تأخذ التطور الداخلى فيها الوجهة التى تتفق مع ظروفها الموضوعية ، فان سلوكها الدولى كذلك قد بدأ يعترف به من جانب الاتحاد السوفييتى ونعنى به سلوك الحياد الايجابى الذى تبنته دول عديدة من البلدان التى تحررت

١ــ تناولنا هذه النقطة بالتفصيل فى "تطور علاقات الاتحاد السوفييتى بحركات التحرر القومى وبلدان العالم الثالث •

من التبعية الاستعمارية .وقد كان مفهوم الحياديين المعسكرين مفهوما مرفوضا عند ستالين وكان يعتبر دعاته حلفاء مقنعون للامبريالية ومن ثم فهم على عداء مع الاتحاد السوفييتى ، أما بعد المؤتمر العشرين فقد بدأت النظارة تتبلور لاتجاه عدم الانحياز فقد أصبح ينظر لا كحليف مباشر للاتحاد السوفييتى ولكن كرصيد يخدم السياسة السوفييتية فى مواقفها من المعسكر الرأسمالى فى شكل غير مباشر ، فمعظم هذه الدول كانت علاقاتها بالمعسكر الغربى حتى وقت قريب علاقة تبعية مباشرة وكانت امكانياتها ومواردها الاقتصادية ومواقعها الاستراتيجية من العوامل المكملة لقدرات الغرب اقتصاديا وداعيا ، كما كانت علاقات هذه الاقطار بالتالى علاقة جفاء وتوجس بالاتحاد السوفييتى فهذه النقلة فى مواقف هذه البلدان من التبعية المباشرة للغرب الى عدم الانحياز والمواقف المستقلة وما أرتبط بها فى كثير من البلدان من تصفية للقواعد العسكرية فيها وللمصالح الاقتصادية والاحتكارية التى كانت تعطى للغرب امكانية تفوقية على الاتحاد السوفييتى ، كل هذا هو بشكل غير مباشر تحول فى صالح الاتحاد السوفييتى يجب الاعتراف به وتشجيعه بل ودفعه الى الدرجة التى تفض فيها هذه البلدان كافة ارتباطاتها مع الغرب ويصبح الاتحاد السوفييتى هو الحليف الباقى والدائم لها .

وقد يفسر هذا نشاط الدبلوماسية السوفييتية فى البلدان الحديثة الاستقلال غداة المؤتمر العشرين وما بعده والرحلات المتواصلة فى كافة المجالات التى ربطت الاتحاد وباغلبية هذه الدول .

ع .